١٠ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الصديق

يقول للمنفرد في نفسه (لا أطيق وجود أحد بقربي) ولكثرة ما يقف محدقاً في ذاته تظهر التثنية فيه ، ويقوم الجدال بين شخصيته وبين ذاته فيشعر بالحاجة إلى صديق . وما الصديق للمنفرد إلا شخص ثالث يحول دون سقوط المتجادلين إلى الأغوار كما تمنع المنطقة المفرغة غرق العائمين

إن أغوار المنفرد بعيدة القرار ، فهو بحاجة إلى صديق له أبعاده العالية ؛ فثقة الانسان في غيره تقوده إلى ثقته بنفسه ، وتشوقه إلى الصديق ينهض أفكاره من كبواتها

كثيراً مايقود الحب إلى التغلب على الحسد ، وكثيراً مايطلب الانسان الأعداء ليستر ضعفه ويتأكد امكانه مهاجمة الآخرين

من يطمح إلى اكتساب الصديق وجب عليه أن يستعد للكفاح من أجله ، ولا يصلح للكفاح إلى من يمكنه أن يكون عدواً . يجب على المرء أن يحترم عداءه في صديقه ، إذ لا يمكن لك أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه وتحارب شخصيته

أنت تريد الظهور أمام صديقك على ما أنت عليه هاتكاً كل ستر عن خفايا نفسك ، فلا تعجب إذا رأيت صديقك يعرض عنك ويقذف بك إلى بعيد

من لا يعرف المصانعة يدفع بالناس إلى الثورة عليه ، فاحذر العرى ، ياهذا ، لأنك لست إلهاً ، والآلهة دون سواهم يخجلون من الاستتار

عليك بارتداء خير لباس أمام صديقك ، لتهيب به إلى طلب المثل الأعلى : الانسان الكامل

أفا تفرست يوماً في وجه صديقك وهو نائم لترى حقيقته ؟ أفا رأيت ملامحه إذ ذاك كأنها ملامحك أنت منعكسة على مرآة مبرقعة معيبة ؟ أفا دعرت لمنظر صديقك وهو مستسلم للكرى ؟ ما الانسان ، أيها الرفيق ، إلا كائن وجب عليه أن يتفوق على ذاته ، وعلى الصديق أن يكون كشافاً صامتاً ، فامسك عن النظر علناً إلى كل شيء ما دمت قادراً في غفلتك على كشف كل ما يفعله صديقك في انتباهه . عليك أن تحل الرموز قبل أن تعلن إشفاقك ، فقد ينفر صديقك من الاشفاق ويفضل أن يراك مقنعاً بالحديد وفي عينيك لمان الخلود

ليكن عطفك على صديقك متشحاً بالقسوة وفيه شيء من الحقد ، فيبدو هذا العطف مليئاً بالرقة والظرف

كن لصديقيك كالهواء الطلق والعزلة والغذاء والدواء ، فان من الناس من يعجز عن التحرر من قيوده ولكنه قادر على تحرير أصدقائه

دع الصداقة إذا كنت عبداً ، وإذا كنت عاتياً فلا تطمح إلى اكتساب الأصدقاء

لقد مرّت أحقاب طويلة على المرأة كانت فيها مستبدّة أو مستعبدة فهي لم تزل غير أهل للصداقة ، فالمرأة لا تعرف غير الحب

إن حب المرأة ينطوي على تعسف وعماية تجاه من لا تحب ، وإذا ما اشتعل بالحب قلبها فان أنواره معرضة أبداً للخطف البروق في الظلام ...

لم تبلغ المرأة بعد مايؤهلها للوفاء كصديقة ، فما هي إلا هرة ، وقد تكون عصفوراً ، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة ...

ليست المرأة أهلاً للصداقة ، ولكن ليقل لي الرجال من هو أهل للصداقة بينهم ؟ إن فقر روحكم وخساستها يستحقان اللعنة أيها الرجال ، لأن ماتبذلونه لأصدقائكم يمكنني أن أبذله لأعدائي دون أن أزداد فقراً

إنكم لا تتخذون إلا الأصحاب ، فالى متى تسود الصداقة بينكم ؟

ألف هدف وهدف

لقد شاهد زارا كثيراً من البلدان وكثيراً من الشعوب ، فنفذ إلى حقيقة الخير والشر ، وعرف أن لا قوة في العالم تفوق قوتهما

تحقق أن ليس على الأرض من شعب تحلو له الحياة دون أن يخضع النظم والسنن لتقديره ، وأن كل شعب يرى من واجبه ، إذا أراد الحياة ، أن يجيء بتقدير يختلف عن تقدير من

يجاوره من الشعوب . وهكذا كان ما يراه أحدها خيراً يراه الآخر دناءة وعاراً

ذلك ما عرفته ، فكم من عمل اتشح بالعيب فى بلد ، رأيته مجللا بالشرف والفخر فى بلد آخر

لم أر جاراً تمكن من إدراك حقيقة جاره ، بل رأيت كلاً منهما يعجب لجنون الآخر وقسوته

لقد علق كل شعب فوق رأسه لوح شريعته ، وسطر عليه ما اجتاز من عقبات وما تضمر إرادته من عزم ، فما تراءى له صعب المنال فهو موضوع تمجيده ، وما خيره إلا حاجة ملحّة عن مطلبها ، فهو يقدس كل وسيلة تمكنه من الظفر بهذه الحاجة

إن كل ما يوطد الحكم لهذا الشعب ، وكل ما ينيله النصر والمجد ويلقى الرعب فى روع جاره مثيراً حسده إنما هو فى نظره ذو المكانة الأولى ، وما احتل المقام الأول فى اعتباره يصبح مقياساً لجميع أموره ومعنًى لجميع ما يحيط به ؛ فاذا ما تمكنت من الاطلاع على حاجات أى شعب وخبرت أرضه وجوه وحالة جاره ، فأنك لتدرك النواميس التى تتحكم فيه وتحفزه الى المجالدة للغلبة على أهوائه ، ولتعرف السبب فى اختياره مراقيه الخاصة يتدرج عليها لبلوغ أمانيه

(عليك أن تكون سبّاقاً عجلياً فى كل مضمار ، فلتتلفع نفسك بغيرتها كيلا تبذل الولاء إلا للصديق)

إنها الكلمات إذا وقعت فى أذن يونانى ، ترتعش نفسه لها فيندفع الى اقتحام الصعاب طلباً للمجد

(قل الحق ، وكن ماهراً فى تفويق سهامك من قوسك)

إنها لوصية صعبت وعزّت على الشعب الذى اقتبست اسمى منه ، وفى هذا الاسم من المصاعب قدر ما فيه من أمجاد

(أكرم أباك وأمك ، ولتكن باراً بهما من صميم قلبك)

وهذه الوصية القاطعة على إرغام النفس ، قد عمل بها شعب آخر فبلغ القوة وأصبح خالداً

(كن أميناً وابذل للأمانة دمك وشرفك حتى ولو كانت جهادك فى سبيل ما يضير وما يورد المهالك)

وهـذه أيضاً وصية عمل بها شعب آخر ، فتغلب على ذاته وأصبح عظيما تشفه الأمانى الجسام

لقـد أقام الناس الخير والشر ، فابتدعوها لأنفسهم ، وما اكتشفوها ولا أنزلا عليهم بهاتف من السماء

لقد وضع الانسان للأمور أقدارها ليحافظ على نفسه ، فهو الذى أوجد للأشياء معانيها الانسانية

ما التقدير إلا الايجاد بعينه ، فاصغوا إلىّ أيها الموجدون

ما الكنوز والجواهر إلا أشياء أرادها تقديركم جواهر وكنوزاً ، فما القيمة إلا اعتبار ، ولولا التقدير لما كان الوجود إلا فتوراً لا نواة فيها . اسمعوا أيها الموجدون : — إن قيمة الأشياء تتغير تبعاً لتحول اعتبار الموجد ، ولا بد لهذا الموجد من أن يهدم فى كل حين

لقد كانت الشعوب تتولى الايجاد فى البدء حتى ظهر الأفراد الموجدون ، فما الفرد فى الواقع إلا أحدث هيئات الوجود

لقد أقامت الشعوب لنفسها قديماً شريعة خيرها ، ومانشأت هذه الشريعة إلا باتفاق المحبة التى طمحت الى السيادة ، والمحبة التى رضيت بالامتثال

إن هوى المجموع أقدم من أهواء الفرد ، وإذا كان خير الضمائر ما يكمن فى المجموع ، فان شرها ما يتجلى فى الفرد المعلن شخصيته

والحق أن الشخصية المراوغة التى لا محبة فيها ، الشخصية التى ترى الى الاستفادة من خير الاكثرية ، إنما هى عنوان انحطاط المجموع لا مبدأ كيانه

ما خلق الخير والشر فى كل عصر إلا الناهوسون المبدعون ، وما أضرم نارهما إلا عاطفة الحب وعاطفة الغضب باسم الفضائل جمعاء !

لقد شاهد زارا كثيراً من الشعوب والبلدان فما رأى قوة على الأرض تفوق قوة الناهوسين ، والقوة معنى لكلمتى الخير والشر

ما أشبه ما يستدعى التمجيد ويستوجب العقاب بالمسخ الهائل ، فمن له بسحق هـذا المسخ ، أيها الاخوة ؟ من سيشد بالأغلال على ما يُتلِعُ هذا الحيوان من آلاف الأعناق ؟

لقد بلغت الأهداف الألف عدا إذ بلغ عدد الشعوب ألفاً ، فنحن بحاجة إلى قيد واحد لألف عنق ، لأننا بحاجة إلى هدف واحد ، فالبشرية لم تعرف حتى اليوم لها هدفاً ، ولكن إذا كانت الانسانية تسير ولا غاية لها ، أفليس ذلك لقصورها وضلالها ؟

هكذا تكلم زارا

(يتبع) فليكس فارس